سلسلة لقاءات

التقوى

أ . أناهيد السميري

ألقيت في شوال ١٤٣١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثالث الذي نناقش فيه مسألة التقوى، وقد مرَّ معنا في اللقاءات الماضية الكلام حول نفس مفهوم التقوى، إلى أن بلغنا فوائد التقوى في الدنيا وفي الآخرة.

نكمل الكلام حول فوائد التقوى في الدنيا، إلا أنني سأذكركم مرة أخرى بأركان التقوى:

○ ما أركان التقوى ؟

حتى تكون شخصًا متّقيًا لابدّ أن يكون عندك علم، وفي قلبك محبة وخوف ورجاء، ثم هذا كله ينتج عملاً، فهذه هي أركان التقوى .

أي: أنك لن تكون شخصا متقيا إلا إذا كنت تعلم ماذا ستتقي، ولن يحصل منك البعد أو القرب من المسألة التي يحبها الله، أو البعد عن المسألة التي يبغضها الله إلا إذا كان في قلبك محبة وخوف ورجاء، ثم في النهاية سيحصل العمل، سيحصل الاتقاء قربًا أو بعدًا، إذن ما هي التقوى؟ إما العمل أو الترك.

على أي أساس تعمل؟ على أساس أن عندك علم، وما سبب عملك؟ وجود المحبة والخوف والرجاء، وهذه الأركان بدونها لن تكون هناك تقوى.

نكمل الآن فوائد التقوى في الدنيا..

〈 الفائدة التاسعة: سبب لصلاح الأعمال وقبولها، ومغفرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[١]، الخطاب للمؤمنين، أي بسبب ما معكم من إيمان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ ماذا ستكون النتيجة؟ ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ وهذه الآية دائما تتكرر في خطب الجمعة، بالتأكيد أن هناك غاية من وراء تكرارها والتذكير بها، مسألة إصلاح العمل مفهوم قد تجده غائبًا عنا.

سنقول هذا المفهوم بما يناسب الأيام التي نعيشها الآن والقادمة علينا من خير عظيم، وهو ١٠ ذي الحجة، وما نعيشه الآن من الأشهر الحرم:

أُمرنا بأمرين :

١. اتقوا الله.
٢. قولوا قولًا سديدًا.

---

[١] الأحزاب ٧٠-٧١.

ما أثر تقوى الله في الآية؟

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إصلاح العمل فِعل من الله بمثابة الجزاء.

وهذا الذي نرجوه حقيقة، فنحن نرجو هذا الأمر وإن كنا لا نعرف اسمه، فكل منا يبذل جهده في طاعة الله ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وخصوصًا لما تأتي المواسم المباركة، كموسم رمضان، وموسم عشر ذي الحجة، لما يجتهد في الطاعة ماذا يريد من الله؟ بعد ما ينتهي رمضان ماذا يدعو بعضكم لبعض؟ (تقبل الله) أي: نفعل هذه الأفعال ولابد أن يكون في قلوبنا رجاء أن يقبل الله.

فأول خطوة لابد أن نتفق عليها حتى تفهم أثر هذا العمل، وأثر التقوى، أثناء قيامك بالعمل لازال هناك خوف، وأنت عامل خائف، فكيف بك إذا لم تعمل؟! فتصور وأنت تصلي الليل، مطلوب منك أن يكون جزء من مشاعرك حول الخوف، خوف من ماذا؟ من عدم القبول. وهذا الجزء مثمر جدًا للانكسار والذل، مثمر للتعلق وللرجاء، مثمر للعبودية، مثمر أن تكون بسببه عبدًا.

هذه الوظيفة (العبودية) هي الوظيفة المنسية! ألست تعلم أن الله مَلِك؟ الملك له عبيد، ما دورك وما وظيفتك؟ عبد، هل ينفك عنك هذا الوصف ثانية؟ لا، أبدًا ولا ثانية، لكن أسألكم كم ثانية في حياتنا نشعر بالعبودية؟! هذه هي المشكلة، هذه الوظيفة هي المفقودة، فلما تقف بين يدي سيدك ومولاك، وأنت تحبه وترجو رضاه وتتقرب إليه بعمل، الذي تحمل همه ذاك الوقت أن يقبلك.

فالقبول هَمّ عظيم لو صحّت قلوبنا، لو قلوبنا صحيحة تعرف منزلة العبودية ستحمل هم القبول.

نحن في تعاملاتنا لما نحب أحدًا حبًّا شديدًا ثم نقدم له أعمال، أشتري له هدية، طوال الطريق أقول (يا رب تعجبه)، وما يأتي في قلوبنا للشخص الذي نحبه (يحمد ربه أني اشتريت له هدية!)، فنحن على حسب ما نحمل في قلوبنا سيكون خوفنا.

كلما زاد عظمة الشخص الذي تحبه، كلما أصبح عندك حالة من مراقبة مرضاته، تفعل الشيء وأنت تحمل هم أن لا يقبل؛ أرأيت مشاعر العبودية هذه ؟! قد نمارسها لكن لغير الله! فهذا حق يجب صرفه لله، لكن نحن أخذنا هذا الحق صرفناه بتفاصيله لغير الله، حقيقة العبودية ليس اسمها، لا أحد يرضى أن يكون عبدًا لشخص.

الإشكال أن قلوبنا تَفْلُت، وبسبب أن الناس شاهد، أي في عالم الشهادة، والله -عز وجل- غَيْب عنا، ماذا يحصل؟ القوة عندنا -بسبب ضعف القلوب- للشهادة، مع أنني أقول (أشهد أن لا إله إلا الله) لكن الضعف لهذه الشهادة سبّب عدم وجود العبودية كما ينبغي، فهذا الجانب يحتاج كثير من النقاش خصوصا ونحن مقبلين على موسم طاعات، هذه العشر أيام تجري كالهواء، أتذكرون رمضان كيف! والله ما استمتعنا به من سرعة مرور أيامه، انتهى ونحن لم نغتنم دقائقه وثوانيه، ثم أننا عملنا وبذلنا لكن لازلنا نشعر بالتقصير، وهذه مشاعر لابد تكون موجودة، بقي عليّ ما استودعته في هذا الشهر من أعمال، ما أبقيته من أعمال في هذا الشهر من صيام وقيام، بالأوراق والأقلام أنا صمت وقمت مع

الإمام حتى ينصرف، وختمت القرآن مرة واثنين وثلاث وأربعة، هذا بالحسابات، لكن من هذا كله ما هو المقبول؟ همّ يكاد يقطع القلب لو كان القلب صحيحًا!

كل هذا مضى، وإصلاح ما مضى أمر ليس بيدي، إذن ماذا أفعل الآن من أجل أن أصلح ما مضى من ٣٠ أو ٤٠ سنة من حياتي؟ وبالتأكيد كلما تعلمنا علمنا أن ربما ثلاثة أرباع أعمالنا ما كانت فيها قلوب، وربما راءينا الناس ونحن شاعرين؛ أتذكر أني ما صليت الضحى إلا من أجل كذا وكذا، مواطن وقع فيها الرياء غير الذي لا أذكره، ضاعت نيتي فيه، مَنَّيت به بعد ما عملته، انظري المفاسد تدخل في أول العمل ووسطه وآخره، بهذه الصورة تصبح الأعمال صعبة وقبولها ثقل، ماذا نفعل لإصلاح ما مضى ؟ أما أنا لا أستطيع إصلاح أعمالي فيما مضى، **لكن**

اسلك الآن مسلك التقوى يكون الأثر إصلاح العمل الذي مضى.

فكيف يصلح لك ما مضى؟ بمعنى أن يقبلك الله، ويقبل ما مضى، أي: أنت اليوم استقم، ماذا يحدث لك إذا استقمت؟ يصلح لك الله ما مضى من أعمال، ليس كل عامل يُصلح له عمله، أنت الآن قمت الليل وصمت النهار لكنك لم تحمل هم القبول ولم تسلك سلوك المتقي فيما استقبلت، فكل عيوب عملك ستبقى، فهناك عاملان:

١) تحمل هم أن تُقبل.

٢) سلوكك في المستقبل أن تكون تقيًّا.

فإذا صلح للعبد ما مضى من عمل قام به، كَسَب فائدتين:

الفائدة الأولى : يعاملك الله على ما مضى بالإصلاح، فيصلح لك ما مضى.

الفائدة الثانية : تصور عندما تخرج من شهر وأنت قد قمت بأعمال صالحة قبلها الله، ماذا يحدث في قلبك؟ يحدث في قلبك زيادة إيمان، فإذا أصلح الله عملك الذي مضى، نفس عملك قُبل وماذا حصل؟ زاد إيمانك، وهذا معنى أن يعاملك الله باسميه **الغفور الشكور**.

- **ما معنى اسميّ الغفور الشكور ؟**

لما تقوم بأعمال فيها نقص وضعف وفساد، كيف يعاملك الله؟ باسمه الغفور، أي : يغفر لك هذا النقص، يصلح لك هذا الفساد، ومن الجهة الأخرى يضاعف لك الأجر، فإذا اتقيت في مسلك المستقبل كان أثره على ما مضى من عمل، وهذا لابد أن يكون منّا على بال؛ لأن همومنا وقت المواسم بالذات لابد أن تكون همّ شخص يريد عمل صالح، فمن يجعل هذا العمل الذي أعمله صالحًا؟ ما يصلحه إلا الله، ما هو الإصلاح فيه؟

الإصلاح أن يقبله الله؛ لأن الله لا يقبل إلا عملًا صالحًا، وأنت قد تلتفت نيتك، ذهب عقلك وقت قيامك في الطاعة، ما عظمت الله حق تعظيمه، وقع في نفسك ملل، وقع في نفسك عدم شوق لطاعته، تكاسلت، أظهرت استغناءك عن الطاعة، كل هذه إفسادات تحيط بالطاعة، ثم وفقك الله للطاعة، لكن هذه المفاسد قد تذهب بعملك لو حاسبك الله عليها، ماذا أفعل ليصلح الله عملي؟ اتقي في مستقبل الأمر مع حملك لهم أن يقبلك الله.

اتفقنا على فوائد التقوى في الدنيا، وصلنا إلى الفائدة التاسعة، بعدما اتفقنا ما هي التقوى، التقوى فيها ثلاثة أركان من أجل أن تكون شخصًا متقيًا تحتاج إلى:

١) علم.

٢) محبة وخوف ورجاء.

٣) عمل.

كأني أقول لك أن المتقي يبني عمله على أمرين : على علم، وعلى محبة وخوف ورجاء، وهذه التقوى لها آثار:

ما الأثر التاسع ؟ سبب لصلاح الأعمال، وقبولها ومغفرة الذنوب.

بدأنا بالمسألة الخطيرة وهي إصلاح العمل، ما معنى إصلاحه؟ لابد أن تتصور أن عملك نبت في أرضك، وأرضك هذه مليئة بالآفات، ماذا ستفعل الآفات؟ ستفسد عليك ثمرة العمل، فماذا تحتاج الآن؟ تحتاج وأنت سائر إلى ربك أن تعمل وتحمل هم القبول، فإذا حملت همه، وفي نفس الوقت استقمت على التقوى في مستقبل الأمر كان هذا سببا لأن يُصلح لك ما مضى من عمل، إذن الكلام حول ما مضى من عمل لكن هذه الزاوية في نفسها، نحن لسنا مهمومين بها.

أول أسبوع في شوال ربما يمر دائمًا على خاطرنا قبول الله للعمل، وأناس من أول يوم، وهناك أناس ولا يوم، لكن لما تنظر في حال الصحابة ستة أشهر وهم يحملون هم قبول هذا الشهر، وستة أشهر يطلبون الفرصة القادمة، على ماذا يدل؟

أنك لابد أن تكون بين خوف ورجاء؛ لا تعمل عملا ولا تتوب توبة وتظن نفسك أنك مقبول، ليس هذا وصف العبودية، هذا ليس وصف شخص عبد.

العبد -كما اتفقنا وضربنا المثال- دائمًا مهمومٌ برضا سيده، دائما يخاف مولاه وسيده أن يسخط عليه، نحن هذا الحق الذي هو لله صرفناه لغيره، صرفناه لمن نحب، لابد أن يظهر في حياتي شخص أهتم برضاه، وأصرف له مشاعر الهمّ هذه، همّ قبول العمل، إما زوج أو أبناء أو جيران أو زميل في العمل أو مدير في العمل، لابد أن يظهر أحد في حياتي غير الله أعتني برضاه عناية فائقة تامة، بحيث أن يكون كل تفكيري أن يرضى، هذا التصرف صرفٌ لحق الله إلى غيره، هذا لا يبلغ درجة الشرك لأنه ليس صرفا تامًا، لكن هذه الحرارة وهذا الوجدان الموجود المفروض أن يكون لله وليس لغيره.

ولا زلت أذكركم من أول لقاء أن مشكلتنا الحقيقية هي عدم وجود الاحترام للحقوق؛ فعندما أشرح شعب الإيمان، ما أعلاها؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وما أدناها؟ إماطة الأذى عن الطريق، ثم أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، ذُكرت لك هنا ثلاثة أنواع من الحقوق، أعلاها حق الله وهو الشهادة، أي : أني الآن في الشرع أُمرت أن أحترم الحقوق، ما هو احترام الحقوق؟ إعطاء كل ذي حق حقه.

ماذا فهمت الآن من الشهادة؟ أنها حق الله، ولابد أن نعطيه حقه سبحانه وتعالى؛ ولذلك كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله اسمه (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)، من أين أخذها؟ أخذها من حديث

معاذ، ((يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا))[1] ثم أدنى الحقوق حق الطريق الذي يميط الأذى عن الطريق قام بالحق، فتتردد الحقوق بين أن تكون واجبة وبين أن تكون مستحبة.

ثم انظر إلى الحياء الذي هو حق نفسك عليك، ما حق نفسك عليك ؟ أن تستحي، إشارة إلى إيمانك، لكن أين المشكلة الآن؟ المشكلة في اختلاط الحقوق.

نوضح المسألة من جهة أخرى :

تعلم أن الله من أسمائه (الملك)، إذا كان هو الملك فنحن عبيد، أنت عبدٌ للملك؛ معنى ذلك الذل والانكسار، والخوف والرجاء، وكل ما تطلب وكل ما تريده، كل هذا حقوق للمَلك، الملك وحده هو الذي له حق عليك أن تكون عبدًا له، ثم هو وصف نفسه سبحانه وتعالى فقال لك ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]، إذا كان بيده الملك إذن حقه علينا ألا نطلب من غيره، وحقه علينا أن لا يلتفت قلبنا إلى غيره طلبا، لماذا؟ لأنه مالك الملك، ألست تُعاب أن تطلب مما لا يملك وتترك ما يملك؟ لأن هذا لا يُقبل عقلا !

فمن حقوق الملك ألا تعظم غيره، ولا تطلب من غيره، ولا تظن غيره ينفعك، ومن أجل أن نتصور المسألة نضرب مثال: أم وأب في البيت، الأب هو الذي يصرف والأم ربة بيت، عندما تأتي البنت وتطلب من أمها أمام الأب، ماذا يقول لها الأب؟ تطلبين من أمك لماذا؟! ماذا عندها لتطلبي! اطلبي مني، وهي تريدها واسطة، لكن الأب لا يقبل، فهو صاحب الصرف، يشعر أن هذا حقه، لا يصلح أن تطلبيه من غيري، أو مثلا أنا مدير وعندي سكرتير، ويأتي أصحاب الحاجة فيطلب من السكرتير ويترجاه، فيقول المدير، لماذا تترجاه هذا ليس صاحب القرار، الآن المدير يغضب أنك طلبت من السكرتير، والأب يغضب أنها طلبت من الأم، فمعنى ذلك أنه عندما يُصرف الحق لغير أهله هذا يعتبر نوع من أنواع الإعابة في صاحب الحق، كأنها مسبة، فكأنه يقال أنك لا تفعل إلا بواسطة، كأنك لست صاحب عدل، ولا يمكن الدخول عليك مباشرة، ففيها مسبَّة.

إذن صرف الحقوق لغير أهلها نوع من أنواع الاعتداء، فما حق الله علينا؟ هذه كلمة يطول النقاش فيها، لكن أنت ضع كل أسماء الله أمامك، وقل: إذا كان الله هو **الرب** الذي يربي ويصلح، ويعطي يمنع، إذن لا طلب إلا منه، وإذا كان الله هو **الملك** وهو على كل شيء قدير وهو الذي يدبر الأمور، إذن ماذا يجب أن يكون في قلبي؟ ذل له وانكسار بين يديه، وإذا كان الله هو **الجبار** الذي يجبر القلوب، إذن ما حقه علي؟ أن لا أطلب جبرا لقلبي إلا منه، وإذا علمت أنه الجبار الذي يقصم الجبابرة فما حقه عليّ؟ أني إذا ظُلمت فلا أطلب إلا إياه أن يعطيني حقي وأن يقيني شر من ظلمني، فكلما سِرت على أسماء الله، عظمُ في قلبك حق الله، وكلما أصبح حق الناس واضحًا أمامك، وأي تجاوز يحصل لك تَرُد قلبك إلى مكانه، وهذه هي حقيقة التقوى.

---

[1] متفق عليه.

[2] الملك:١

حقيقة التقوى: أن تعطي كل ذي حق حقه، وتتقي أن يحصل منك تعدي، في أحوال كثيرة لا نقبل حقوق الخلق، ما نقبل أن للجار حق، جار يعتدي أسقط كل حقوقه عليّ، زميلة في العمل تعتدي، أسقط كل حقوقها دون تفكير، وهكذا، وانظري إلى الشباب في الشوارع وهم يقودون السيارات، فتخيلي تكون السيارة ممتلئة بالأطفال وبالنساء، ويأتي أحد يعانده، كل من في السيارة وحقوقهم انتهى موضوعهم! ويفعل بهم ما يدخل على قلوبهم الرعب فقط ليرد على هذا، ولا يهمه حقوق الآخرين بل يرعبهم لينتقم ممن عانده! أيضا كل من في الشارع، كلهم ليس لهم حقوق، ولا حق نفسه، المهم أن يفعل ما أملاه عليه هواه.

ولذلك لابد وأنا أتكلم عن التقوى أن أتكلم عن النفاق لماذا؟ لأنك لو رأيت ما يضاد التقوى لن تجد له اسمًا إلا النفاق، فإما تقي أو منافق، بكلمة واحدة كما قال الحسن في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [1] قال: هو المنافق؛ ما رأى من هواه شيئا إلا ركبه.

وعمر بن عبد العزيز كيف بين لنا التقوى؟ **قال عمر بن عبد العزيز: المتقي ملجم**، أي: أن الناس أحد اثنين إما شخص يركب هواه، أو شخص ملجم، ما معنى ملجم؟ مثل الخيل، يرد نفسه.

لا يوجد إلا هاتين الحالتين إما أن العبد يركب العبد هواه، أو يكون لاجمًا لنفسه وهواه، وما تراه الآن لمظات النفاق، فالنفاق عندما يدخل إلى القلب يدخل مثل اللمضة، أي: الإضاءة، البقعة في القلب إلى أن يكبر، والإيمان بمثابته أيضا يدخل مثل هذه البقعة، إما بيضاء أو سوداء.

فقط أدّي الحقوق كاملة، أما البحث عن الرضا لن تجد منه أثرا، لأن لو بحثت عن الرضا أحيانا تحصل حالة من التعدي، مثال: هناك والدين فيهم من الطيبة والرضا الشيء الكثير، ويأتي الأبناء ينادونهم بأسمائهم، فنقول لهم لا يصح، هذا تعدي على حقهما، فتقول هي راضية، نقول هذا القانون خطأ، والعكس أحيانا تفعل كل شيء ثم تقول لها لا أرضى عنك إلا عندما تخرجي وتتركي زوجك، نقول لها ليس بالضرورة أن ترضي، لأن هنا سنتعدى على حق آخر، فالقصة ليست مرتبطة بالرضا بل مرتبطة بالحق، هناك مشاعر أنني أريده أن يرضى، سواء زوج أو والدين، لا بأس، هذا الطلب بنفسه لا يرفض أن تفعل العمل والمهم أن يرضى، لكن تلمس رضاه يجب أن يكون من أجل أن يرضى الله، وهكذا تخالفين هواك.

نحن دائما نضرب مثال الزوج ليبقى عندكم هذا التفكير حيًّا عندكم إن شاء الله، لنبدأ بالزوج أولا: مثلًا أوقظه لصلاة العصر ما دمت راضية عنه، وأقول حقه علي أن يصلي العصر جماعة ولا تفوته ((مَنْ تَرَكَ صَلاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)) [2]، وأستحضر كل النصوص التي أحفظها، وأنا راضية أقوم بالحق، لكن عندما أغضب عليه أقول: هو شخص كبير، وعنده ساعة، وإذا أراد أن يقوم يقوم !

---

[1] الفرقان:٤٣

[2] رواه البخاري في صحيحه.

فأصبحت القصة هوى، ممارسة على حسب رضاي عنه، وعلى حسب رضاه هو عني، لكنني أقول لك لا تهتم بالرضا وسيري في خط واحد سواء كان راضٍ أو لا، كنت راضية عنه أو العكس، عندما يكون الرضا غير موجود وأنت عليك أن تقومي بالحق ومهما فعلت لا يعجبه، تطبخين له يُعيب أكلك، ويأتي يوم لا يجد أكل معين فيغضب، فقررت أن لا أطبخ لأن مهما فعلت لا يعجبه، لكن أنت تفعلي الحق سواء راضي أو لا، سواء عاب الأكل أو لا.

هذا الكلام تقولينه داخل نفسك؛ أنني سأقوم بحقك سواء كنت عني راض أو غير راض عني، وأنا سأقوم بالحق ليس تفكيري أنك أنت ترضى، بل لأنني سأسأل عن هذا الحق بتفاصيله، كم من المرات الأبناء يرفعون أصواتهم على آبائهم وأمهاتهم، ولأن الآباء والأمهات إما ضعفاء أو محترمين، أو ملَّت نفوسهم من كثرة العتاب فيسكتون، فنقول له لا يصح ذلك صوت مرفوع أو نظرات في العين غير محترمة، فيرد بأن الأمر عادي، أنا وأبي كالأصحاب! هذا الكلام كله هوى، والحقيقة أن الواجب عليك أن تقوم بالحق وليس الميزان رضاهم، الميزان أن تقوم بالحق، هنا أن الأب راضي في العرف رفع الصوت لا يجوز، فالحقيقة أن الواجب عليك أن تقوم بالحق وليس الميزان رضاهم.

نحن اختلطت علينا الحقوق بأعلى درجة نتصورها، اختلطت لدرجة أنني أقوم بالأفعال المضادة للحق، والشخص يقوم الليل ويصوم النهار، وعليه من علامات الدين ما عليه، ولا يترك العمرة ولا الصدقة، ثم تجد انفراطًا في قيامه بالحقوق، لا الجار له حقوق، ولا الإخوان ولا الوالدين قائم بحقوقهم، ولا العمل قائم بحقوقه، ولا الأوراق التي سلمت في أمانته قائم بحقوقه، تفريط في الحقوق من أسباب ضعف الإيمان، فهو يسبب ضعف الإيمان، وضعف الإيمان يسببه، وكل منّا عنده مائة عذر لعدم قيامه بالحقوق.

المفروض تعليم الحقوق هذه مسؤولية المجتمع بعد ذلك، مثل المدارس، والبرامج التثقيفية للمسلك الصحيح، فمهما كان أمام الناس ألا يظهر هذا الابن بأنه عاق ؟ نعم، فقد سبب تهمة له في عرضه، والسبب الوالدين، وهذا من الأخطاء أن يُنادى الأب والأم بأسمائهما.

قاعدة عامة: لما يحصل تداخلات في الحقوق مثل الزوج يقبل والأب لا يقبل، لا يوجد عبادة إلا الاستهداء.

أي: طلب الهداية، ﴿اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[1]، ﴿يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[2]، هذه عبادة مهمة ونحن تاركون لها، الله -عز وجل- يمرر عليك من المواقف والأحداث لتعبده بهذه العبادة، حيرة يقابلها استهداء، كيف يكون الاستهداء؟ **طلب من الله أن يخلص قرارك من الهوى.**

فأنا في نفسي أن أحج، ثم تأتي موانع ومعارضات، أحد يوافق وأحد لا يوافق، فأنت خارجة للحج من أجل رضا الله، وهناك حق لأحد آخر، والشريعة قدمت حقوقهم فاطلبي من الله أن يخلصك في قرارك من الهوى، المشكلة أن غالب قراراتنا يدخلها الهوى، ثم نصبغها بالصبغة الشرعية، مرروا على خواطركم كثير من القرارات تجدون أن كثير منها يدخلها الهوى، أي أن يكون القرار سببه الهوى لكنني أعطيه الصبغة الشرعية.

---

[1] الفاتحة٦

[2] القصص:٢٢

فعبادة الاستهداء؛ أن أطلب من الله أن يدلني على الطريق المستقيم، ويكون قراري صحيح خال من الهوى، قرار من أجل رضا الله.

النفاق لمظات، لو دخلت إلى القلب نكتت فيه نكتة سوداء، لكن عندما تفهم الحق، تتقي فيما هو مستقبل، يُصلح لك فيما هو ماض، افهمي هذه المسألة جيدا لتكون حلا يسبب التوازن.

مثلا: ٢٠ أو ٣٠ سنة من الاستقامة كنت أتخذ قرارات كلها مبنية على الهوى، مثلا ذهبت للحج رغمًا عن فلان ولم أعطيهم حقوقهم، ثم عدت وقلت يا رب اقبل مني حجي، وربما يكون أهل الحق غير أحياء، كيف أصلح ما مضى ؟ بكلمة مختصرة يبقى في قلبك حمل همّ قبول ما مضى يصلح لك المستقبل، وبهذا يُطرد النفاق، فاليوم اتق، واحمل همّ ما مضى، النتيجة أنه يصلح لك ما مضى، هذا وعد من الله ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَالَكُمۡ﴾[١] .

فعبادة الاستهداء، كل قرار تقفين فيه استعملي معه عبادة الاستهداء، هذا رضا وهذا رضا، الحج رضا والوالدين رضا لله، إي الأمرين سيكون أرضى لله ويخالف هواي ؟ استهدي الله، مهما استشرت لا أحد يستطيع أن يعطيك قول كما ينبغي، لا أحد لا يعرف دواخل النفس، هذا حله في الجزء الأول من إصلاح العمل.

نأتي إلى الجزء الثاني : كلما زدت تُقى، كلما وُفقت لصلاح أعمال المستقبل .

فالتقي عندما تكون دُرْبَته التقوى، ماذا ستكون النتيجة ؟ النتيجة أن أعماله في المستقبل يكون فيها خائف من هواه، مراعٍ حق الله، مراعٍ أولويات الحقوق، إذن الذي مضى يصلحه الله ويقبله، ويعاملك باسمه الغفور الشكور.

الأثر الثاني للتقوى: لما تكون متقي يصبح عندك هذه الحساسية، أنك قبل ما تقبل على العمل يكون عندك خوف أن يكون فيه هوى، وتكون راجي من الله أن تكون مخلصا وأن تكون صادقا، فمن آثار التقوى أن يجعل الله في قلب العبد أسباب قبول العمل وأسباب إصلاح العمل، ما أسبابه ؟

أن تكون نية صحيحة – الصدق والإخلاص–، إعطاء الحقوق كما ينبغي، فهذه الهموم لم تكن عندي من أول الأمر، لكن عندما أكون متقيا يجعلها الله في قلبي ويحركها، يكون لديّ سؤال استفهام لم هذا التصرف ؟ أي: أجعل لكل سؤال جواب.

أضرب مثال: شخص ربنا ابتلاه بأنه يمارس الغيبة لكن بصورة عفوية، هذا قد يكون أمرًا مشتركا بيننا ونحن لا نشعر، الغيبة ((ذِكۡرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكۡرَهُ))[٢]، وأحيانا هذه الغيبة لها طريقين: طريق الحقد، والتَّقصد، فأتصل وأتكلم فقط عن فلانة، وأفرغ ما بداخلي، وهذا الطريق معروف، الطريق الثاني أن في أثناء الكلام أقول زوجها كيف تزوج عليها ؟ هذه غيبة، إن أردت أن تعرفي اسألها هي، فأنت قولي لها أختك محتاجة للدعاء وانتهى، الغيبة العفوية هذه غيبة في النهاية وحكمها حكم الغيبة، فأريد أن أعرف ما أثر أن أكون متقية على هذه الغيبة؟ أنا الآن تعلمت وأصبح في قلبي حب وخوف

---

[١] الأحزاب: ٧١

[٢] رواه مسلم في صحيحه.

ورجاء من الله، وأصبحت أعمل من أجله وأترك من أجله، لكن بقى فيني عيب الغيبة العفوية، وأنا لا أقصد، وهذا أصلا أسلوبي في الكلام !

لما تزداد تقوى في كل جوانب حياتك أثرها أن يصلح عملك، فيأتي ناصح ويقول: كلامك أَوْغَر صدري على أخي، ويأتي واحد يقول: انتبه أنت تغتاب. ونحن عادةً نأتي بالاعتذار: وأشهرها أنا أقول ذلك في وجهه، أو أقول للشخص الذي اغتبته سامحني، لابد أن تسامحني لأني اغتبتك.. كل هذه أعذار كي لا أحس بالألم، وتجد في النهاية نفسك تتكلم ولا تتألم.

ما أثر التقوى؟ أن أبدأ أنتبه للكلام، فنحن نعرف أنه مع كثرة الكلام تخرج كلاما لا تحسب حسابه، فمن يردك ويعصمك ويردك ؟ لا يعصمك إلا الله، لكن هذه العصمة هي أثر أنك متق من الجهة الأخرى فأنت تسير متقيا، وعندك عيب في كلامك، وفي أسلوب نقاشك، وتأدية الحقوق أتكلم ولا أشعر، فلما تسير في طريقك هذا وتكون متقيا من آثاره أن يصلح لك الله عملك، بمعنى أن هناك أشياء تفلت منك يكون فيها أخطاء تخالف فيها الشريعة الله يصلحها لك.

ما يصلح ما مضى إلا تقوى قادمة ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[1]، فالقول السديد هو الذي ينقصنا، وما يأتي القول السديد إلا بعد مجاهدة وطول تفكير وممارسة، وما يأتي القول السديد إلا من أهل التوحيد الذين هم يعيشون لواحد فقط، يعيشون رضاه، **فأهل التوحيد هم أهل القول السديد.**

المقصد أن التقوى تنفعك على أمرين في إصلاح أعمالك : بإصلاح ما مضى وبإصلاح المستقبل.

ممارسات مضت فيها عدم تعظيم الله، وفيها عدم التعلق به، وفيها أنواع من الشرك الأصغر، ومن الالتفات لغير الله والرياء، فمن فضله ومنّه وعطائه وكرمه أن تستقيم اليوم فيصلح لك ما مضى، المعاصي بابها التوبة، والأعمال الصالحة والطاعات بابها التقوى، لنركز في الأعمال الصالحة ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ، أي: يصلح لكم أعمالكم التي قصدتم بها رضاه.

يأتيك خوف من أن يسخط عليك الله –عز وجل– من إرادة مستقرة في القلب، مثلا وُجد في القلب استهانة بأني أعمل أعمال صالحة ومقبولة، وفي الليل والنهار ليس همي عند الله وأكيد أنني عند الله شيء، فمن أول ما تأتي هذه المشاعر يأتي ذنب يقصم العبد من أوله لآخره!، فعلي أن أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم مباشرة؛ لأن سكوتك عنها معناه أنه سيأتيك ذنب تسقط فيه، وكم من الكبائر كانت سبب سقوط أهل الاستقامة؛ لأنهم ظنوا أنهم مقبولين عنها.

قد يقال على هذا الحياة ستكون صعبة وخوف! نقول: لا بأس هناك خوف وهناك رجاء، ثم هذه هي تركيبة الحياة، خلق الإنسان في كبد لو ما كابدت الخوف و الرجاء في الله، كابدته في الأسواق وطلب رضا الناس، لكنك تكابد في موطن شريف وغيرك يكابد في موطن حقير.

---

[1] الأحزاب: ٧٠

إذا جعلت خوفك ورجاءك سائقك إلى الله أكيد سيصلح لك أعمالك، يقال لك ما مضى يصلح بالتقوى، فما التقوى؟ تتعلم، وتحب، وتخاف، وترجو.

إن اتقيت في هذا الجانب يسدد لك الجانب الذي لم تفكر فيه بالتقوى، فكأن التقوى يجر بعضها بعضا، أنت تتق الله في والديك وعملك، وفي صلاتك وفي حزبك، وفي أمور لا تمر على خاطرك، فجزاءً لك ولتقواك وجهدك ماذا يفعل الله لك ؟ يصلح لك هذا، فيصلح لسانك من أن ينفلت ويتكلم، يصلح يدك من أن تطيش في المسلمين، ويحمي عقلك من الوسواس وهكذا.

مراجعة لما سبق..

التقوى ثلاثة أركان:

- **العلم**، لن تكون تقيا إلا إذا علمت ماذا تتقي ما هي محاب الله ومباغضه، لابد أن تتعلم حتى لا تحذر طاعة، ولا تقبل على معصية، فكثير من المخالفين انتكست فطرهم لأنه نقص عندهم العلم، فيأتون إلى معصية بينة بل إلى شرك ويتقربون به إلى الله، ويأتون إلى طاعة واضحة ويتركونها قربة إلى الله، وهذا خطر واضح في العالم الإسلامي، فكثير مما يحبه الله متروك لأنهم لا يعلمون أن الله يحبه.

اخرج وتعلم وفي قلبك نية بأنك تتعلم من أجل أن تتقي، ومن أجل أن تعرف محابه من مباغضه، ولتكون دقيقا في سلوكك إلى ربك، واعرف الحقوق، مشكلتنا الخطيرة أننا لا نعرف الحقوق، ولا نعرف أن نمايز بين أصحاب الحقوق وأحيانا يحصل شيء من الطغيان حق أحد على أحد.

عبادة الطاغوت أن يكون عندك حق لله وحق لغيره، فماذا يحصل به ؟ أتجاوز بفعلي حق غير الله إلى الله.

مثال الأولياء والصالحين في القرآن والسنة لهم حق، لكن لما يتعدى الإنسان حقهم ويُعليهم، يصلون فيشاركون الله حقه، فأصبح شركًا.

إذن أنت تتعلم من أجل أن تتقي، تتقي أن تُدخل حقوق أحد على أحد، تتقي أن يقع منك سلب لحقوق أحد وإعطاءها لأحد.

لذا رأس العلم التعلم عن الله لتعرف أنك عبد له، لما تتعلم عنه وتعرف مثلا أنه الملك، إذن أنا عبد ذليل منكسر، لا تأتيني ثانية أستغني بها عن سيدي ومولاي، أنت في الحقيقة عبد لربنا ولا تستغني عنه طرفة عين، هل هذه العبودية موجودة في القلوب ؟

هذه الفوارق بين أهل الإيمان، وهذه الفوارق بين أهل الإسلام وهذا الذي يجعل الناس إما يعظمون الكتاب والسنة أو يضعف تعظيمهم، إما لا يعظمونه إما يعظمون الدليل وأنه قائدهم وسيدهم، أو أنه رأي يقبل أو لا يقبل.

يقال لك هذا الشهر معظم، هذه الكعبة معظمة، فكلما يُشار لك بشيء تعظمه لأنك تعلم أن سيدك ومولاك يشير لك لما يرضيه، وليس هناك عبد يقول لسيده لم هذا الشهر وليس ذاك الشهر؟ فأنت عبد عينك لا تفارق مكان سجودك، عبد يعلم أن سيده ومولاه مطلع حتى على ما قام في قلبه.

إذن أنت تتقي لما تتعلّم، وقاعدة العلم معرفة الله تعالى، عشنا عمر ما نعلم عنه غافلين، ثم لما تقلب صفحات في المصحف تقول أين أنا عنه! كل هذا البيان في وصف نفسه سبحانه و تعالى ثم أكون غافل ؟ وأنا بعد الصلاة أقول اللهم أنت السلام ومنك السلام، أين اسم السلام في الفهم ؟! أقرأ المعوذات ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ﴾[١]، أين أنا من هذه الأسماء الثلاث في الحياة ؟ واسم الله، ما معناه ؟

كل هذا الذي نحن فيه سبب اختلاط الأمر، وسبب في النهاية أن تجد أحدًا كل مظاهر الإسلام عليه لكن في النهاية ليس تقيا، لا يعرف أن الحقوق هي أصل التقوى.

فممكن أن يقصر في حقوق والديه ويختل التوازن عنده وهو يرى نفسه أنه متقربا إلى الله بذلك.

○ كيف نتعلم الحقوق ؟

من المصادر، كلما ازددت انكبابا على الكتاب والسنة، بفهم دقيق، ستفهم كل شيء، ثم بعد ذلك لما نتكلم عن الأمور المعاصرة تحتاج أن تفهم القواعد الشرعية، فإن كان ذلك من الصعب أن أرجع إلى القواعد الشرعية يكون مرجعي في ذلك إلى الفتاوى، فالأصل أن تتعلم القرآن والسنة ثم إذا تعلمتها تأتي أمور واقعية .

مثلا أخرج من الدوام مبكرًا أو لا؟ يحق لي أستعمل أوراق الدوام أو لا؟ أستخدم كهرباء الدوام أو لا؟

ما تعرف ماذا يجب عليك، فعندك واحد من اثنين؛ إما تتعلم القواعد الشرعية أو تستفتي أهل العلم.

- الركن الثاني للتقوى **المحبة والخوف والرجاء**، هذا يأتي من العلم عن الله
- وبعد هذه الإنارة يأتي **العمل**، الآن تستطيع أن تعمل على نور من الله كما قال طلق بن حبيب: (التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله) هذه القاعدة الثلاثية، (وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله).

و تكلمنا عن آثار التقوى، وكان من آثار التقوى ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٢].

<u>فالإصلاح نوعان :</u>

١- إصلاح **ما مضى** بقبوله، تعلمت اليوم أن هذا حق قم بالعمل، اتقي وقم بالعمل فيصلح الله لك ما مضى.

٢- و إصلاح **المستقبل**، كلما استقمت على التقوى كلما جذبت التقوى أعمالك، فأصبح ديدنك أن تتقي، فبعد ما كان الكلام ينفلت منك، أو أنك من غير أن تحس تتكلم وتعلق، وتقول أن هذا الشخص كل ما تكلم أنه مرائي ومنافق، وهذا يقصد كذا في كلامه فيه سوء ظن بالناس، ثم أنك اتقيت، فالذي يحصل في قلبك يُحفظ، تمتنع عن أن تسيء الظن في الناس.

---

[١] الناس: ١-٣.

[٢] الأحزاب: ٧١

المغفرة ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ هذه تابعة للإصلاح، أي: إذا أصلح أعمالكم يغفر لكم النقص، يعاملنا باسمه الغفور الشكور، يغفر لكم النقص، فالله يعاملنا بعد التقوى باسميه الغفور الشكور.

لازلنا نتكلم عن فوائد التقوى، نسأل الله أن يجعل هذه التقوى مكانها قلوبنا، وأن يشفي أمراض القلوب والأبدان.

〉 **الفائدة العاشرة : أن التقوى سبب لنيل محبة الله تعالى.**

وهذه المحبة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، يقول الله تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

وهذه الآثار المتصلة بحب الله وبذكره من الأشياء التي يجب أن تدرّب نفسك على الرغبة فيها.

فلما نأتي بمثال (أذكار الصباح والمساء) لو قلنا لك أن غالب الناس ما سبب ذكرهم هذه الأذكار ؟ غالب الناس يقولون لتحصين والحفظ من الله، لا بأس هذه فوائد تابعة لكن الفائدة الأصلية التي يجب تكون منك على بال وأن يتحرك قلبك لأجلها أنك لو ذكرت ذكرك الله.

مثل آية سورة الأحزاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[2] يكفيك أنه سبحانه وتعالى يصلي عليك، أي: يثني عليك، تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وتطلب من الله أن يثني على نبيه، وفي صلاتك على النبي صلى الله عليه وسلم اعتراف منك بالدين كله، فتأخذ الصلاة هذه المكانة لأنها اعتراف بالدين كله واعتراف بالرسالة، واعتراف بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتراف بمحبتك لثناء الله على الرسول، مثل اهتمامك بالصلاة على الرسول فأنت مهتم أن يصلي الله على الرسول صلى الله عليه وسلم لمحبتك للرسول، أيضا أنت محتاج أن تحب نفسك وأن يصلي الله عليك، كيف يصلي الله عليك؟ لما تذكره.

فأين ذهبت هذه الفائدة؟ اضمحلت في باب المصالح غير المرتبة، أعلى مرتبة أن تطلب هذه المصلحة العظيمة أن يصلي الله عليك، **فإذا أثنى عليك الله صلحت الدنيا والآخرة، إذا أحبك الله صلحت الدنيا والآخرة.**

في الحديث: ((كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ))[3] إلى آخر ما تفهم من آثار محبة الله للعباد.

نحن في هذه الفائدة نحتاج أن نعيد ترتيب أولوياتنا لأن هناك مشكلة في أولوياتنا، يفترض أن يكون أولى أولوياتنا أن يكون الله عنك راض، ما هي أول همومك أيها العبد؟ أن يرضى عليك الله وأن يحبك الله، أن ينظر إليك نظر الراضي عنك، أن يثني عليك، كل هذا أولوية، فكأنك تبحث ماذا أفعل من أجل أن يحبني الله؟ ماذا أفعل من أجل أن يثني علي؟ ماذا أفعل من أجل أن يرضى عني؟ حبك لحبه سبب لتقواك، فإذا اتقيت كنت من أهل محبته.

---

[1] آل عمران:٧٦

[2] الأحزاب:٤١

[3] رواه البخاري في صحيحه.

فادفع نفسك للتقوى لأنها سبب أن يحبك، ونحن نتودد لمن نحب تودُدًا عظيما، فنفعل الأفعال كلها التي يحبونها.

مطلوب منك إذا كان من أعظم أولوياتك أن يحبك الله، أن تأتي هذه المرة على وردك وتقول كيف سيحبني الله ؟ لن أصل إلى ذلك إلا عندما أعرف هو يحب من ؟ يحب المتقين، يحب الشاكرين، يحب المتطهرين، هات كل صفات من يحبهم الله وكن في فلكها؛ من أجل أن تصل إلى محبته، ستجدينكل الصفات يصب بعضها في بعض.

المقصد الآن أن هذه المصلحة من التقوى ستحرك قلبك وسترى أن لها أثرًا عليك، متى ؟ عندما تكون محبة الله مقدمة عندك، أي: من أمانيك، مما ترجوه، مما تنتظره، مما تشتاق إليه أن يحبك الله، ماذا تفعل ؟ تكون من أهل التقوى.

إذن **من آثار التقوى أن يحبك الله**، كل مرة تتقي الله فيها سيكون سببا لأن يحبك الله.

اتفقنا أن التقوى عمليًّا هي عبارة عن طاولة مفاوضات، ومكانها في قلبك، بين النص وما في حكمه، وبين قناعاتنا، وشهواتنا، وتصوراتنا للمسائل، يأتي في وسط طاولة النقاش هذه خانة اسمها الجهاد، إذا قَوِي النص سيتغلب النص على الهوى، على القناعات وعلى الشهوة، فكيف يقوى؟ يقوى من جهة بالعلم، ويقوى من جهة بالمجاهدة.

وبالعكس **متى تقوى شهوتك أو هواك أو قناعتك** ؟ إذا ضعف الجهاد، فتكون متذكرا النص، لكن لضعف المجاهدة يغلبك هواك، وتصورك وقناعتك.

- لذلك دائما في داخلك صوتان :-

١. صوت يدعوك إلى التقوى.

٢. صوت يدعوك إلى الهوى.

أول التقوى أن تلزم الاستعاذة ليخفت صوت الهوى وتجاهد، فكر في زمن قضاء الشهوات كم سيكون ؟كله دقائق، ثواني، كلمة، كلمة أتت من غضب، زمن الكلمة ثانية، مثل طلقة الرصاصة التي تقتل تأخذ ثانية ! وهذه الثانية كما ذكرنا في قصة ابني آدم ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾[1]، وفعل (طوّعت) معنى ذلك: نقاش طويل ومحاولات، وكان الجانب الأقوى أن لا يقتل، والجانب الأضعف أن يقتل، لكن بقي يُطوّع نفسه لقتله حتى طاعت، فكأن نفسه كانت معارضة ثم طوعها إلى أن أطاعت، فهذه معركة عكسية .

مثل البنات العفيفات، لما تكون لها صحبة فاسدة، وكلهم يقنعونها أن تفعل وتفعل، وهي ترفض وبداخلها شيء يقول لها ليس أنت، ثم تُطوِّع نفسها من أجل أن تجاريهم، وهذه مجاهدة عكسية.

ولذلك في الغالب لما يكون في هذه المجاهدة العكسية يكون في سماء، ثم يسقط فتخطفه الطير فتهوي به الريح في مكان سحيق غالبا، أي: بعد أن تكون محفوظة بحفظ الله وهو يجاهد من أجل أن يفتن بعد حفظ الله له، مثل آية سورة الحج

[1] المائدة: ٣٠

ماذا فعل؟ ﴿كَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1] الآن هواك قوى أو قناعاتك قوية ولديك النص أو ما في حكمه، فعندك صوتان على طاولة النقاش :-

١. صوت النص، الذي في الحديث اسمها ((لَمَّة الملك)).

٢. وصوت الشهوة أو الهوى أو القناعة أو التربية.. إلى آخره، وهذه اسمها ((لَمَّة الشيطان))[2].

وأحيانا يحصل عندي مشكلة؛ لا أعرف أيهما لمة الملك وأيهما لمة الشيطان، بمعنى أنه عندي شيئين ظاهرها خير، فأول ما تأتيك المعركة **ضعِّف لمَّة الشيطان بالاستعاذة**، لكن هل الاستعاذة وحدها تحل المشكلة ؟ لا تحل المشكلة وحدها، كلما قويت الشهوة لابد أن تضم للاستعاذة صدق المجاهدة؛ لأنني ممكن أستعيذ وعقلي لازال يفكر كيف يصل إلى الشهوة وتجد أني أخطط ! فقد أقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن جهة أخرى أخطط وأتخيل وأفكر، فعقلي لا يزال يفكر في الشهوة..

إذن التقوى جهاد تدفع به هواك طلبا لرضاه.

لذلك لابد أن يعتمد على العلم، لأن طاولة النقاش هذه لا تحصل إلا إذا استطعت أن أشخّص أنه هوى وأنه يخالف النص.

لماذا لابد من العلم ؟ لأنك لا تستطيع أن تشخص أن هذا هوى و هذا من الشيطان إلا لما يكون معك علم، ثم يحصل بين العلم و بين هواك المعركة.

فلو هناك شخص في الديار التي رُبِّيَ أهل على أن الشرك دين، وعلى أن الذبح والطواف على القبور قربة إلى الله، هل هناك طاولة نقاش تحصل ؟ لا توجد طاولة مفاوضات، في الديار التي ربِّيَ أهلها على أن المرأة هي ولية أمر الرجل وهي التي تتحكم فيه، إذا كانت هي صح زوجك على الطريق المستقيم الذي ربَّيْتِيه عليه، فلا يوجد أي إحساس أن هناك خطأ، ويوم القيامة هناك حساب طويل أعطيتيه حقه أو لم أعطيتيه!

الآن الثقافة العكسية، ثقافة أن عليه حقوق وأنا ليس علي واجبات، أو ثقافة تعظيم حقي على حقه، أو ثقافة تداخل الحقوق بحيث أني لا أعرف أن أميز، فهذه الثقافة لا تجعل أن هناك طاولة نقاش بالأصل، لأنني أشعر أن هذا حقي.

مثلا قاعدة: أن للطاعة بركة. هذه القاعدة البيوت تَعْمُر بها، فقط كلمتين طاعة الله لها بركة، طاعة الزوج لها بركة، طاعة كل من هو أعلى لها بركة، مهما كان رأيك سديدًا، لكن الله ينزع من رأيك البركة إلى رأي زوجك لأن الله يُصرِّف الأمور، ثم تندمين على أنك عارضتيه.

المقصود من غير أن تكون هناك معرفة وعلم لن تكون هناك طاولة النقاش، الآن عمليًا عندما تجاهد هواك لأنك تعلم أن هذا يرضي الله، هذه اللحظة لحظة محبة الله لك، فافهم هذا جيدًا، وهذا الأثر يجعلك تساعد نفسك على التقوى، لأنه ستكون هذه اللحظة الله ينظر إلى قلبك ويرى جهادًا، ويرى طلبك لرضاه، فيكون هذا الجهاد سببًا لمحبة الله، فأنت

---

[1] الحج:٣١

[2] صحيح ابن حبان.

تصور المسألة جيدًا وقت المعركة في الداخل، هناك من ينظر إلى قلبك وهو يَعترك، ثم قوة المجاهدة سبب لمحبة سيدك ومولاك، محبة الملك الذي لو أحبك صلحت الدنيا والآخرة.

فهذا الأثر سبب لترطيب الجهد، سبب لتهوينه وتسهيله، فتكون طيلة الوقت لو ازددت علما ستجد أن نفسك طيلة الوقت تجاهد.

لنقل أن معك علم، وعندك طلاقة لسان، تجاهد ألا تكتم العلم، أتوا أخافوك وقالوا لك: انظر أنت تتكلم وتحسن ويجتمع عليك الناس هذا قد يكون رياء –بسهولة يدخل في الرياء–، فتصبح تتكلم طلبًا للرياء وطلبًا ثناء الناس عليك، بسهولة تنحرف النِّية هنا، فتقول الحل أن لا أتكلم ! فنقول غير صحيح، سيكون هذا نوع من أنواع كتمان العلم، فمن يتكلم مشكلة ومن يسكت مشكلة، فماذا يفعل ؟

ليس لديك إلا طاولة النقاش، تجاهد وتتكلم، وأنت تجاهد أن لا يلتفت قلبك لغيره، لا يوجد حل ولا يوجد مجال للهروب، تصور أن الحياة كلها هكذا الآن، لو قلت: أنا تعبت من العلم والمجاهدة أريد أن أكون مستقيما، نقول: تستقيم لن تذهب نقطة المجاهدة، ستستقيم ويفتح لك مكان آخر من جهة، ستبقى مجاهدًا؛ سأجاهد طيلة الحياة مع اختلاف الأطراف الذي سأجاهد فيها، فتقول إذا كانت هذه الحياة، الموت أحسن !

نقول: لا تغلق على نفسك، كل لحظة مجاهدة، يقابلها محبة من الله، كل الناس لا يشعرون ماذا تفعل أنت، وكلهم لا يرون إلا ظاهرك، في المقابل أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم.

اليوم الحج مهما كانت الرفاهية، مهما كانت الحملة سيئة، فاليوم كل تفكيرنا كم المسافة بين مكاني والجمرات، الناس كانوا يسيروا كل هذا على أقدامهم من مكة لمنى لمزدلفة، هذا كله من الضعف، لكن مع كل الرفاهية الموجودة لكنك منذ أن تدخل الحج إلى أن تخرج وأنت تجاهد، أين الجهاد ؟ في قلبك، في المكان الأعظم للجهاد، تجاهد أن تصلي ولا ترائي، وتجاهد أن تقوم الليل ولا ترائي، وتجاهد أن تقرأ القرآن ولا ترائي، وتجاهد أن لا تتكلم بكلمة لا ترضي الله في هذا المكان، جهاد طوال أربع أيام لكنه سنين من جهة الجهاد؛ لأنك تصور أنت تمنع نفسك عن كل شيء.. تركب حافلة فاخرة وتجلس في مكان فاخر، احفظ قلبك ألا تعجب بنفسك، ولا تتكبر على الخلق، وأن لا ترى نفسك خيرًا منهم، وتخرج وترى الناس على الأرض فترى نفسك أنك أحسن حالا منهم، المطلوب منك أن تحفظ قلبك طيلة الطريق من مكان مخيمك إلى الجمرة، لا تطمع ولا تعجب بنفسك، لو كانت خيمتك متواضعة، ثم رأيت الناس، المطلوب أن لا تطلب الدنيا ولا تتمناها ستجاهد، فأنت ستجاهد ليس هناك حل.

أربعة أيام وترجع كيوم ولدتك أمك؛ لأنها معركة..

تكون شخصا مثلا تشمئز وعندك شيء من الوسوسة، وذهبت ودفعت أموال لتذهب لمكان أنظف ما يكون، ثم تبتلى ببلوى من أي نوع، أو مثلا تخاف من السيارات الكبيرة، لا تحب الانتظار، فتدفع أموال لتكون لك سيارة خاصة، فيأتيك بلاء فتسير كل الحافلات وسيارتك تتعطل وتقف في مكانك، وهذه مواقف واقعية، فكل هذا ماذا يقال لك فيه؟ أنك لابد أن تختبر وتجاهد.

ونحن مشكلتنا أننا لابد أن نبحث عن أحد نُلصق به المشكلة، نقول الحملة، والناس، الجارة التي جلست بجانبي..

مثلا أنت شخص لا تحب الكلام ابتليت بمن جنبك تكلمك وتتكلم جوال، الصبر .. الصبر، اصبر لا تقولي لها من أول يوم: يا أختي لا أحب أحد يكلمني ! انظري إلى الخسارة من أول يوم! ((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ))[١]، وأحيانا أنا أحب الكلام، فأبتلى بشخص لا يرد علي حتى السؤال، فأقول هؤلاء الناس يروا أنفسهم! لابد أن تتصور أن كل هذه المعركة في الداخل، هذه الأربعة أيام هي صورة للحياة، لكن في الحياة لا يكون الأمر كله متتابع.

○ كيف نجاهد الرياء ؟

لازالت النصوص أمامك، مثلا أنا شهوتي الثناء، اتفقنا أن مشكلة الرياء حبنا للثناء، كلنا نحب الثناء، هناك شخص يحبس هذه الحاجة على الله، ويقول أنا لا أريد إلا أن يثني عليّ الله، وآخر انفلت زمام نفسه فصار الكلام يطربه، فأنت كلما تعلمت عن الله وتصورت حال الأتقياء وفهمت ما أثر ثناء الناس عليك، لما تَقْبل ثناءهم ما أثره عند الله، لما تقبله وتحبه فهمت أنه شرك أصغر، وفي الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[٢].

قال أهل العلم: "لا يغفر الشرك لا كبيره ولا صغيره".

هذا هو القول الراجح والله أعلم، لكن صغيره يدخل صاحبه النار ثم توزن أعماله، أي: لا بد أن يُتَقى من خطيئة الشرك، فتصور تكون أعمالك كثيرة صالحة لكن توزن لك بعد أن تدخل النار من أجل أن تنقى من خطيئة الشرك الأصغر، أما الأكبر فمتفق على أنه الخلود والعياذ بالله.

دائمًا ضع في عقلك ما معنى أن تطلب ثناءهم! كلمة من شخص لا تساوي شيئا، ما هذا الثناء الذي يسوى شيئا ؟!

لذلك ماذا كان يقول السلف من أجل أن يعالجون قلوبهم؟

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "من عرف الناس استراح، فلا يطرب لمدحهم، ولا يجزع لذمهم، فإنهم سريعوا الرضا، سريعوا السخط، والهوى يحركهم".

فضع هذا القانون أمام عينيك، فلا تطرب لمدحهم، ولا تجزع لذمهم، فلماذا تعتني بهم ؟!

سائلة تسأل عن دعاء: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا لَا أَعْلَمُ))[٣].

في لحظة الرياء ادعُ بهذا الدعاء لتُحمى من الرياء، لكن في اللحظة هذه قلبي تحرك، لابد تفهم نفسك وتناقشها أن ثناءهم لا شيء، تقول لنفسك أنا أريد أن أكون مع الموصوفين في سورة الإنسان ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[٤]، فأنت اجمع لنفسك النصوص التي تقويك لحظة وقوعك.

تقول: أنا لا أريد ثناؤهم ولا يطربني ثناؤهم بل أخافه وأخشى أن يكون هذا جزائي ويأتيك البكاء، مثلا اجتهدت وعملت عمل خيري واجتهدت ثلاث أو أربع ساعات وبعدها وأنت خارج يقال لك: (كثر الله أمثالك لو مثلك في

[١] رواه مسلم في صحيحه.

[٢] النساء:١١٦

[٣] صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري.

[٤] الإنسان:٩

البلد كان صلحت!) فتنتعش وتشعر أنه يا ليت يكثر من هذا الكلام، أو تركب السيارة مع أحد وتقول كيف كانت المحاضرة ؟ كيف المثل الذي ضربته بالله ! أليس مناسبا ! وبعد ذلك ذهبت الثلاث ساعات هباءً منثورا، ويا ليتها راحت هباء منثورا، بل ذنب عليك.

فلا بد أن تتصور خطر الشرك الأصغر، لابد أن نتصور الرياء، تدخل على العمل فتفسده.

لما تتوضئين أليس هناك نواقض الوضوء ؟ مثل نواقض الوضوء تفسد الوضوء، وهذا العمل كأنك ما توضأت، وكذلك نواقض الإخلاص على الإخلاص تفسده كأنه ما فعله، لكن يا ليت فقط ما فعله، المسألة الأعظم أنها إثم عليك بل رياء وشرك أصغر.

لو رتبت تفكيرك أن طلب الثناء حق لله، فأنت عَلّي قلبك فوق، ولا تجعل ثناء الناس على عمل شرعي إلا حق لله، أنت كلما ترقيت أصبحت لا تطلب إلا ثناء الله، لا تطلب على عمل شرعي الثناء إلا من الله، لكن الأصل عمل الآخرة لا تطلب ثناء من أحد إلا من الله، لكن لما تترقى حتى عمل الدنيا لا تطلب عليه ثناء إلا من الله تعالى.

- سائلة تسأل عن الخواطر الرديئة، هل أجاهد هذه الخواطر ؟

من ذا الذي ينجو من هذه الخواطر ؟! إبراهيم عليه السلام وهو يُلقى في النار على ضعفه أقبل على حرارة النار، وضعوا حطبهم في وادي وجعلوا الوادي يشتعل على رأسه والقوة في النار، ثم يأتيه جبريل فيقول إليك حاجة فيقول: (أما إليك فلا، وأمّا إلى الله فحسبي الله ونعم الله الوكيل).

تصوري قوة التوحيد، لا يطلب من جبريل وهو يعلم من الذي أرسله، ونحن لما نلقى أي أحد في الطريق نطلب منه، ثم انظري لمقامات التوحيد لما يؤمر برؤيا أن يذبح ابنه فلذة القلب الذي لو أصيب بشيء من غيرنا فزعنا ومع ذلك يستجيب، وبعد ذلك يقول ﴿ اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾[1] !

إذن كل العباد ممكن يحصل منهم هذا الانحراف سواء الأكبر أو الأصغر، فنحن على خطر أن يُسْلَب الإيمان منا بسبب ترك الجهاد، فنحن هنا في مكان الزرع مكان الحرث، مكان البذل ثم تحصد عند الله تعالى.

المقصود أن حب الله لك يكون لحظة ما يكون منك الجهاد، قد تقول أني صاحب معاصي فكيف يحبني الله ؟ نقول يحب فيك إيمانك، لحظة مجاهدتك تكون محبة الله لك، والله -عز وجل- لا يحب عباده كلهم سواء، كلما زاد الإنسان جهادًا كلما زادت محبة الله له، **وزيادة الجهاد سبب لزيادة الإيمان.**

ولهذا إذا ظننت يقينا أنك في معركة بين نص أو ما هو في حكم النص وبين هوى أو قناعة، وعلمت أن الحل هو الجهاد، بقي عليك أن تفهم ما معنى ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[2]، أول النصر أن تقوى على المجاهدة.

هذا كله من أجل أن تفهم أن الساحة أولا قلبك، وأن الله ينظر لقلبك فيحبك بسبب جهادك لهواك.

- من فوائد التقوى ما ورد في سورة البقرة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[1] .

[1] إبراهيم: ٣٥

[2] محمد: ٧

هذا بنفسه مبحث عظيم، شاهده واضح جدًا لكن يحتاج إلى ترتيب، ؟ أيهما أول فهمك للكتاب يسبب التقوى أو التقوى تسبب فهمك للكتاب ؟ هنا الإشكال، ﴿الم(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2] أصبح هو هداية لكن لمن كان متقيا، وهو هذا نفس الأمر هنا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1] .

- **العلم يمر بأربعة مراحل :**

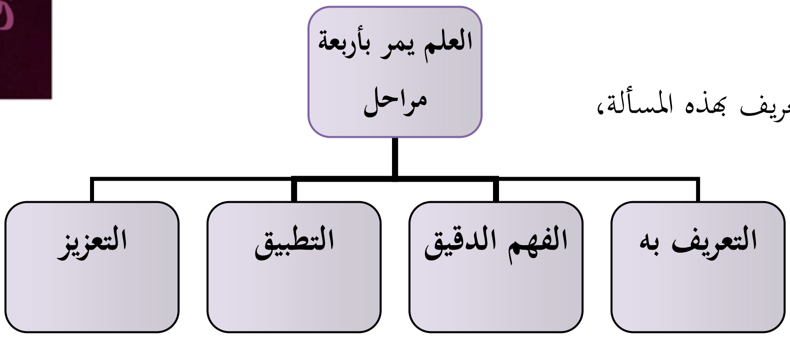

١) أول المراحل في العلم – **التعريف به**، أي التعريف بهذه المسألة، أي أن أعرف ما هو التوحيد، ما هو الشرك، وهكذا.

٢) ثم بعد المعرفة يأتي **الفهم الدقيق**.

٣) **التطبيق**، يتحول من مجرد كلام إلى فعل ليس شرطا فعل بمعنى فعل لكن يميز الصواب من الخطأ بناء على علمه، في علوم الدنيا مثلا، أولا يعرف أن هناك جدول ضرب ويحفظه، ثم يفهمونه إيّاه وأن هذا الضرب تكرار الجمع، ثم يأتون له بمسألة رياضية فيطبق الذي تعلمه على هذه المسألة أو يشتري ويبيع ويطبق هذا الكلام على هذه المسألة.

٤) **التعزيز**، هذا فوق التطبيق، تصبح كأنها طريقة يتعلم بها ويعيش بها، يمارسه دائما .

في أول الكلام قلنا أن التقوى لها ثلاث أركان، أولها العلم؛ هذا العلم في أي مرحلة سيكون قبل التقوى ؟ اسمه (التعريف) أي المرحلة الأولى، كأنه يقال لك خذ كتاب الله، اقرأه، ستعرفه لكن حتى تفهمه فهما دقيقا تحتاج أن يكون وصفك متقي، من أجل أن تطبقه على الحياة تحتاج أن تكون متقيا، كلما زاد التقوى ارتفعت في المراتب، لكن معرفة كتاب الله وقراءته يشترك في الانتفاع منها المتقي وغير المتقي.

أولادنا في المدارس يدرسون كتاب الله ويفهمونه، يفهمون التفسير، لازالوا في المرحلة الأولى (التعريف) قد ينتقلوا للمرحلة الثانية بشيء من التقوى خصوصًا في مرحلة المراهقة يكون التدين فيها عالي، لو وجدت خطا سليما من الـ(١٤ إلى ١٨)، مرحلة فيها قوة ارتفاع إلى الأعلى، وفيه شيء من حب الدين، من تقوى الله، فينتقلوا لمرحلة الفهم لكن لا يمكن يصل لهدى وفهما دقيقا ولا سببًا للتطبيق والتعزيز إلا إذا كنت متقيا.

فأنا الآن سآخذ العلم معرفة، وأضعه على طاولة النقاش، إذا بدأت أتقي وأجاهد به، ستتحول نفس المعلومة من مجرد معرفة إلى فهم –مجرد معرفة إلى حد التطبيق–، أعزز به نواحي الحياة كلها، كم من الآيات والنصوص نحفظها ونعرفها من زمن طويل!

---

[1] البقرة:٢٨٢

[2] البقرة:١-٢

حديث ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))[1] منذ متى نعرف هذه المعلومة ؟ منذ بداية المدارس، لكن هل فهمنا؟ بل بقينا في مرحلة المعرفة كل هذا العمر، ما وصلنا لمرحلة الفهم الدقيق مع التطبيق إلا لما أصبح زيادة في الطلب، وزيادة في إرادة طلب رضا الله.

كل ما زادت المعلومة كل ما زدت إيمان فتصل المعلومة للأعماق، فأنت تتقي يعلمك الله، فتجد أن نفس المعلومة يصبح لها أثر كثير.

كثير من الدول الإسلامية ما يغيب عن أهلها اسم الله الرزاق، أحدهم يفتح محله ويقول يا رزاق يا كريم ! لكن في منتصف النهار يتضارب هو وجاره على الزبون ! لأنه مجرد معرفة.

و أسماء الله إلى زمن قريب يضعونها بطاقات في حقائبهم، عندهم فقط المعرفة، لكن هل وصلت لدرجة الفهم الدقيق والتطبيق والتعزيز ؟ لا.

كيف نصل إلى ذلك ؟ أبذل جهدي أن أفهم المعلومة؛ أطلب من الله يزيدها ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[2]، أين الذل لطلب العلم؟!

في الحديث يقول موسى عليه السلام: ((يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ))[3] موسى عليه السلام مع أنه نبي لكنه لازال يطلب العلم، ويطلبه العلم من مصدره.

كلما زدت تقوى، زاد العلم هداية لك.

لذلك تفسر أن ناس كثير يصلون لحد مرتبة الأستاذ والدكتور، أو تجد عنده من الكتب الكثير في علوم الدين، لكن لا تجد أثرًا لهذا المعلوم على سلوكهم ولا قلوبهم، ولا على العناية بالنصوص، ما السبب ؟ أنهم لازالوا في مرحلة المعرفة.

فأنت تأتيك المعرفة أولا وكلما تَيَسَّر لك استعمال المعارف، تستعملها فلما تستعملها يفتح لك أبواب الفهم الدقيق؛ أي يفتح لك مساحة في قلبك

مثلا عرفت ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))، استعملها فكر بعقلك، أعطِ نفسك فرصة للتفكير، يأتي هذا السؤال بالفهم الدقيق، وكلما زدت إرادة لهذا الفهم – كونك تريد أن تستعمل النص في مكانه– هذا بحد ذاته تقوى فيعلمك الله.

﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، لمن كان متقيا، سيهديه في العمل، سيكون هاديا له منارًا له، سيستطيع أن يستفيد منه.

---

[1] متفق عليه.

[2] طه: ١١٤

[3] رواه ابن حبان، والحاكم وصححه.

العلم قد تجمع منه الكثير من المعرفة وتضعه على جنب، تكتبه في كتب وتسجله في مذكرات، لكن يمكن أن يجتمع العلم وما ينفع صاحبه.

○ متى ينفع العلم صاحبه ؟

ينفع صاحبه لما يأخذه ويعيشه وينفذه ويتقي به، هذه المعلومة الصغيرة تعمق إلى الداخل.

لما تقارن بين حفظ السلف للقرآن حفظ الصحابة والخلف ترى عجبًا، ليس كل الصحابة يحفظون القرآن كاملا، بينما الخلف اليوم ناس كثيرين منهم يحفظون وهذه حالهم، ونحن حفظنا القرآن وهذه حالتنا، ما الفرق ؟ الفرق أن آية واحدة يعيشونها إلى الداخل، إلى أعماقهم، يعرفونها يفهمونها فهمًا دقيقًا، يطبقونها في حياتهم، يعززوها ويجعلوها قاعدة للتفكير، علمهم الله بسببها مالا يعلمون، لكن ناس يحفظون كلام كثير وحافظين القرآن، ودخلوا في مسابقات لحفظ السنة، وكثرت عليهم المعلومات لكنها كلها في سطح المعرفة فقط، فنحن لا نحتاج كلامًا كثيرا نُحشّي عقولنا بها، بل نحتاج أن هذه الآية نقف أمامها، كم منا يقرأ في صلاته ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[1]، لكن هل تشعر بهذا حقيقةً ؟

في الحقيقة ألهانا التكاثر، في الهواتف النقالة نتكاثر، مظهر نتكاثر، حقائب نتكاثر، انتهوا أهل الدنيا من كثرة التكاثر، ونأتي إلى أهل الدين لأهل العلم يتكاثرون بكتب العلم والأوراق وحضور الدروس يتكاثرون، إذن التكاثر أنواع لكن أهم شي أن صاحبه في التكاثر قلبه ملتهي، يسير ولا يفكر أنه سيلقى ربه، يسير ولا يفكر في حفرته التي سيكون بها!

من أجل ذلك قال الله ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾[2] ذاك الوقت حصلت الإفاقة، لكن إفاقة مالها معنى، هل أيقظتنا من التكاثر الذي نعيشه ؟ لا، فقط قراءة ومعرفة، نحن نقرأها لكن ما نشعر بمعنى أن ألهاكم من التلهي، حتى الكلمة ليست مترجمة عندنا، فلم يصبح القرآن هداية، لماذا ؟ لأنه لا يوجد فهم دقيق بُذل من أجله الوقت، ولا يوجد تطبيق للقليل الذي أخذته، القليل الذي يسبب استقامة للحياة.

الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ)) أليست الكلمة تشكل الحياة ؟ تكفيني لأدفع العنف الأسري، لكن أين ؟ حتى أحل مشكلة في مدرسة أو في عائلة، أرى عشرة أشخاص يتدخلون وستون جلسة نأتي ونذهب، وهي كلها كلمتين ((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ))، لأننا فتحنا أبواب العمق لغير هذا، نحن عميقون لكن في الذي يوافق هوانا، لما تكون صاحب تخصص لا تحب أن تكون سطحيا فيه، بل نريد أن نكون في داخل أعماقه.

مثلا لو أحد يحب أن يتعمق في علم ما، كالذي يتعمق في علوم الدنيا كعلم التطبب بالأعشاب لكن ما درس ولا تخصص، بل حتى في رمضان أيام التراويح والتهجد تقوم في النساء خطيبة وقت المغرب تقول لهم: بعد ما تفطروا خذوا

---

[1] التكاثر: ١

[2] التكاثر: ٢

العُشْبَة هذه لتنشطوا! ولا أحد يقول لها أين أنت ؟! كلهم يسمعوها، وتقول أن هذه الشعبة أتت من هنا، وهو لا تخصص ولا شيء لكن ثقافة.

فنحن نقبل أن نكون عميقين لكن في أمر الدنيا، الله تعالى يقول في سورة الروم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[1].

الأربعة مراتب في العلم تفهمك أن تكسب العلم أولا ثم تبذل الجهد فيه، وكلما بذلت الجهد وجعلته منارًا جاءتك التقوى، والتقوى تسبب لك تطبيقه وزيادة تعزيزه.

انتهى اللقاء الثالث ولله الحمد، يتبع اللقاء الأخير . .

---

[1] الروم:٧